الدكتور مبارك الفاضل شداد
سقف عال للفضائل وكمال النخوة والأخلاق



بقلم : د.أبوبكر خليل شداد

فى يوم رائع من العام 1915 بمدينة بارا رزقت السيدة الشاعرة الفطينة آمنة ابراهيم شداد بمولودها البكر من زوجها الفاضل اسحق شداد ..كانت تلك الرقعة الممتدة من ارض كردفان لا تزال فى حزنها مكلومة تذكر وتعدد مآثر فقيدها الكبير ناظر قبائل دار حامد الورع الناظر اسحق شداد : ذاك الناظر الشهم والقاضى الحصيف كان يقضى بالحق والحزم فى الخصومات والنزاع ، فان قضى يوما بالسجن للجانى والتعويض للشاكى فانه كان لا يغادر مجلسه حتى يدفع الغرامة المقررة عن الجانى المعسر من حر ماله وحينها لا تملك كثير من الاسر المختصمة وهى ترى من أريحية ذلك القاضى الا وتتنازل وتعفو عن الكثير وتتصافى النفوس التى تخاصمت وأختلفت فى حطام دنيوى من زرع أو ضرع .

فى هذا البيت العريق ولد المبارك ووسط هذه الفضائل والأخلاق الرفيعة شب .



بكت الحاجة آمنة عمها مع الباكين الى أن جاء بكرها المبروك فسمته المبارك وتفاءلت وتوسمت فى نشأته الخير الكثير فأنشدته وهو غض صغير :

مبروك يا مخول
بتكلم شجيع ...ما مزول
وفى الامتحان : برنجى أول....
مبروك ما عرضو ظاهر
وبتكلم شجيع ومجاهر
ما خالو حامد ...وعمو الطاهر

(وحامد شداد أخوها من أوائل المهندسين السودانيين بالاشغال العامة والطاهر هو من خلف أباه فى نظارة قبائل دار حامد وكلاهما كان مضربا للمثل فى الفضائل والكرم).

ولما شب الفتى وبانت ملامحه وكانوا وقتها يقولون (الراجل قيام سيف) فصفات الرجولة والشهامة عادة تتبدى وتعرف فى الفتى منذ ان يكون طوله وقيامه كطول السيف .وقد كان ذاك من هذا الفتى فما كان من والدته الحصيفة وهى تسمع نبأ نبوغه وقبوله فى

مدرسة كتشنر للطب الا أن حملته ولقنته فى حزم رسالتها الواضحة ....وتؤكد مسيرة مبارك شداد وحياته لاحقا بانه لم ينسى هذه الوصية من أمه وذاك التكليف ..... قالت له الحاجة آمنة رحمها اللّه :

مدخور يا عشايا ....للبعيد والجار
ومدخور لليتامى ....الدافنين النار
ومدخور للولايا ....الدمعهن قطار
ومدخور تقول .. حرررم .. وتنزل الختار
وعصار ياكا ود عصار
عصار للدقون ...لامن عرقهن سال

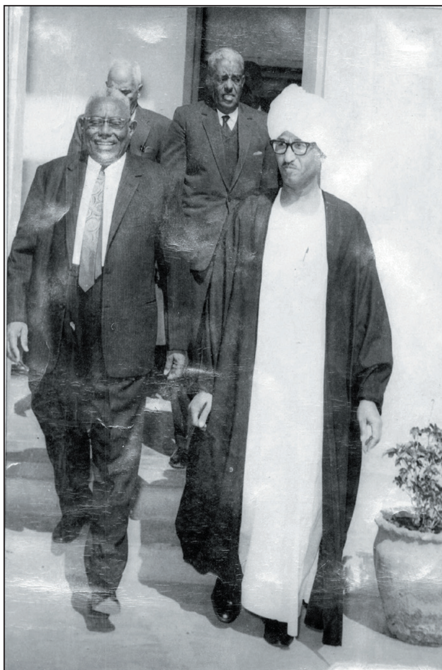

خريجى مدرسة الطب كلية غردون
دفعة 1936/1937

شب المبروك حافظا وصية أمه وعاملا لها ...جادا مستقيما ... نافرا من لهو الشباب ... متفوقا على أقرانه .... شهما كريما وقويا فكان من القلة التى أهلها نبوغها ومثابرتها لدراسة الطب ونيل الشهادة فى العام 1936

وانطلق المبروك بعد تخرجه ملاكا للشفاء وللرحمة فجاب ربوع البلاد طولا وعرضا اذ عمل فى : أمدرمان.. الخرطوم..جوبا ...ياى ...سنجة ...سنار ...مدنى ...القضارف ... الابيض . لم يتوقف عطاءه الا ابان بعثته للمملكة المتحدة للتخصص فى أمراض النساء والتوليد. لم يكن ذاك الشاب موفور النشاط عالى الهمة محض طبيب : كان شعلة من العطاء متقدة مشاركا بعلمه وثقافته وشخصيتة القيادية فى كل ما يهم حياة الناس وينفعهم : تذكر سيرتة أنه وأينما حل الا وكان ربانا فى العمل الطوعى العام ،والا وكان عضوا فى المجلس البلدى والا وكان مشاركا فى العمل الرياضى وعضوا فى اتحاد الكرة .. ذاك غير أنه أيضا كان السياسى ذا الرؤية الواضحة والموقف المبدئي الصلب والوطنى الغيور المقاتل والمناضل للاستقلال. بعد تخرجة وبأقل من عامين كان نشاطه المناهض للاستعمار عبر مؤتمر الخريجين سببا فى إبعاده عن الخرطوم بواسطة السلطة الاستعمارية فتم نقله الى جوبا ولكن المبروك المدرك لمرامى سياسة بث الفرقة بين الشمال والجنوب حول ذلك الابعاد والاقصاء نصرا وفتحا للحركة الوطنية السودانية فى جنوب السودان ..... فما أن استقر بعاصمة الجنوب جوبا حتى بدأ مع أقرانه من الجنوبيين فى تأسيس مؤتمر الخريجين هناك وكان هذا الانجاز بتأسيس مؤتمر الخريجين فى جوبا من أهم الاحداث السياسية التى وقعت فى تلك الفترة ...وليس أعجب منه وأكثر مفاجأة للمستعمر الا أن يقع الاختيار بالانتخاب على سودانى (شمالى) فاقع البشرة فى جوبا (ورغم كل التحريض من الادارة الاستعمارية) ليكون أول سكرتير عام لمؤتمر الخريجين فى جنوب السودان وكان هو نفس الطبيب الشاب الذى تم ابعاده من الخرطوم : مبارك الفاضل شداد .

لم يكن دور المبروك النقابى وسط زملائه الاطباء قاصرا ولا محدودا بل كان فاعلا ومؤثرا فعمل فى مجلس نقابة أطباء السودان لعدة دورات كما عمل عضوا فى مجلس جامعة الخرطوم وشارك كأحد ممثلى نقابة الاطباء فى جبهة الهيئات التى قادت ثورة أكتوبر .

حينما وقع انقلاب مايو 1969 كان د.شداد هو الرئيس المنتخب للجمعية التأسيسية فأعتقل مع الشهيد الزعيم الأزهرى ورفاقه كما اعتقل ثانية عقب حركة المرحوم حسن حسين ومرة أخرى عقب حركة يوليو 1976 وكانت آخر فترات اعتقاله قبيل الانتفاضه وهو فى السبعين من عمرة وظل معتقلا الى أن أخرجته جماهير الانتفاضة .


د.مبارك شداد مع الزعيم الآزهرى

كانت سنوات مايو مريرة على الدكتور شداد بل على كل العائلة ...كان فيها الملاحقة والمراقبة والتضييق المستمر وقد حاولت مايو وبأستمرار احتواءه وعرضت عليه العديد من المناصب الرفيعة ولكنه كان يرفض فى اباء فكانت النتيجة غضبة لم تهمد طوال السنين من النظام عليه وحنقا من السلطة المايوية لم يفتر ...ومع ذلك بقى هذا الرجل القوى متشبثا بمكانه داخل السودان وحاشاه ما عرف المهاجر والمرافئ الآمنة ولا عشق المطارات وصالات المغادرة واللجوء ولم يغادر منزله فى شارع الملك نمر الا وهو محمول رحمه اللّه .

مبارك شداد الانسان كان وسط أهله وأصدقاءه بارا وكريما ورجل المواقف والازمات وهو الذى تنتهى فى مجلسه بحنكته وحكمته كل الخلافات التى تحدث أحيانا بين أفراد العائلة الكبيرة المتمددة وهو المتفقد لأرحامه الواصل لهم البار بهم وهو القائم على الايتام ووصيهم ووكيلهم فى مجالس التركات والميراث وهو فوق كل هذا وذاك المربى الكبيروسط العائلة الكبيرة وصاحب الفلسفة التربوية للنهوض بعائلته (وخياركم خياركم لأهله) تلك الفلسفة التى تقول بحسن اعداد وحسن تعليم الابن الاكبر فى الاسرة الصغيرة والذى بدوره وعند نجاحه سوف يحدد مسيرة إخوته الذين من خلفه . ولأنه كان حازما ومنضبطا ومربيا فقد كان يطلب من أبناء عمومته ومن أفراد العائلة أن يرسلوا أبناءهم للاقامة معه فى بيته للدراسة الثانوية وحتى دخول الجامعة فكان بيته دوما عامرا بالشباب والطلاب ما أن يفرح بدخول عدد منهم للجامعة حتى يستقبل آخرين وكان أثر هذه السياسة وبصمتها واضحا فى مسيرة العشرات من أبناء الاسرة وأسأل ان شئت عن خريجى مدرسة (عميد الاسرة) مبارك شداد والتى شاركتة أيامها ولياليها الطويلة تلك المرأة العظيمة الكريمة الاخرى زوجته ورفيقة دربه ثريا حامد شداد رحمهما اللّه وجعل كل ذاك الفضل والاحسان فى ميزان حسناتهما .

• كتب العم الدكتور أحمد عثمان سراج وهو الذى عرف مبارك شداد نقابيا ومناضلا صلبا فى وجه الدكتاتوريه كتب د.سراج يوم رثاء المبروك فى ديسمبر 1997 :

((عرف د.مبارك بقوة الشخصية ،الشجاعة فى قول الحق خاصة عند سلطان جائر...الا رحمه اللّه وأدخله الجنة ....

حينما دنا موعد انتخابات نقابة أطباء السودان إبان ديكتاتورية مايو تفاكرنا حول انسب نقيب يقود مرحلة المواجهة الحاسمة مع النظام ..كنا رهطا من الاطباء نمثل تيارات قوى المعارضة المتعددة ...أجمعنا كلنا على أن دكتور مبارك شداد هو الخيار بلا منازع رغم علمنا بالمأساة التى لايزال وقعها بائنا علية ، وفاة ابنه الشاب رحمهما اللّه .

لم يكن الرجل هيابا ولا متلهفا لموقع جاءه يحبو ...كلا ...فاجأنا الرجل العظيم بالشكر والاعتذار ....لماذا ؟

قال (أنا لا أصلح لأن أكون نقيبا لأطباء السودان فى هذه المرحلة بالذات ....نميرى يكرهنى كراهية شخصية ..لذلك وبسببى سأجر النقابة ومن الوهلة الأولى الى مواجهة مع السلطة ..)

قلت له : يا دكتور مبارك من أجل هذا جئناك ...نحن لانهدف لنقابة تزيد رواتبنا ، نحن نطمح لأن ننقذ وطنا يموت ، نحن جئناك من أجل انقاذ مواطن إنهارت خدماته الصحية فهو الآخر يموت ...نريد نقيبا يقود أطباء السودان ضد الديكتاتورية ومن أجل الحرية ....آثر الراحل العظيم أن يكون جنديا مقاتلا بين الصفوف .... وكان قدر السودان وأطباءه أن يتبوأ الموقع د.الجزولى دفع اللّه بخيره وشره ...

ويوم الملحمة التاريخية الأربعاء 3 أبريل 1985 ، بعد أن دهس الأطباء سور مستشفى الخرطوم لتحاصرهم قوات النظام بشارع المستشفى وهناك والجميع جلوس على الأرض : برز الراحل العظيم شاقا جمع تلك القوات ، قادما من اتجاه شارع القصر .....برز فارسنا المبارك بجسمه النحيل ، أنفه الدقيقة الشماء أبدا ، عمامتة المميزة تعلو هامته التى ما إنحنت لطاغية و(الشال) يزين عنقه ويتدلى الى صدره المعبق بأريج هذا النضال ...تقدم فارسنا المغوار نحو جمعنا بخطى ذكرتنا شباب سيدنا على الكرار .... (تحكر) شيخنا المبارك على الأسفلت فى الصف الأول فى مواجهة زبانية النظام ..... هل أزيد ؟ لا ففى ذاك المشهد ماهو بليغ وأفصح من أى مقال ....اللهم أرحم المناضل الطبيب الشيخ الفارس ...وأبدا لن تسقط راية ظللت تقاتل دفاعا عنها...)) .

• وكتب المرحوم الأستاذ الكبير والوزير السابق محمد توفيق صاحب عمود (جمرات) هذه الشهادة بعيد وفاة الدكتور شداد وهو الذى خبر المبارك وزامله سنوات عديده فى معترك الحياة السياسية ، يقول الأستاذ محمد توفيق رحمهما الله :

((عندما انفض الائتلاف الحاكم بين الحزب الوطنى الاتحادى بزعامة الازهرى، وحزب الامة- جناح الصادق وعاد مرة أخرى مع حزب الامة – جناح الامام الهادى ، لم يهدأ السيد الصادق المهدى ، بل استطاع استمالة غالبية أعضاء الجمعية التأسيسية للاطاحة بحكومة المحجوب الائتلافية ! وعندما تأكد الازهرى والمحجوب وحلفاؤهما من ذلك ، تقرر حل الجمعية التأسيسية . ولما كان الدستور لا يجيز حل الجمعية أوعزوا لمؤيديهم من النواب بتقديم استقالاتهم حتى تفقد الجمعية فعاليتها فى وضع الدستور ويسهل حلها . واستدعى الزعيم الازهرى الدكتور مبارك الفاضل شداد رئيس مجلس السيادة ليتسلم الاستقالات ......لكن الدكتور شداد رفض إستلام الاستقالات ...لأن القصر الجمهورى ليس هو الجهة التى تقدم لها استقالات النواب ويبت فى أمرها !! رحم اللّه شدادا فقد كان شجاعا ، صاحب مبادئ ومواقف !!))



د.مبارك شداد (يمين) د.التجانى الماحى : عضوى مجلس السيادة مع الملكة أليزابيث فى السودان

د.مبارك شداد :
سيرة ذاتية:

- تدرج فى عمله الطبى لمنصب كبير أخصائى النساء والتوليد ومديرا لمستشفى أمدرمان 1961-1964
- انتخب بالمجلس الطبى ممثلا للأطباء لأربعة دورات
- سكرتير مؤتمر الخريجين فى جوبا 39-1940
- رئيس مؤتمر الخريجين 1943-1945
- رئيس بلدية الآبيض ورئيس اتحادها العام لكرة القدم 1956-1961
- عرضت عليه رئاسة الوزراء فى اكتوبر 1964 ورفض المنصب نسبة لتمسك المرحوم الفريق عبود فى ذلك الوقت برئاسة الدولة .
- عمل عضوا ثم رئيسا دوريا لمجلس السيادة 1964-1965 بعد أن نحى الفريق عبود عن الرئاسة
- انتخب رئيسا للجمعية التأسيسية لدورتين 66 ثم 1986التى أطاح بها انقلاب مايو 1969

رحم اللّه الدكتور مبارك الفاضل شداد فقد صاغ هذا الرجل الفذ سقفا عاليا للفضائل والمكارم والوطنية و حوت سيرته صنوفا لا تحصى من كمال النخوة والمروءة ورفائع الأخلاق والتى قلما تجتمع فى فرد من زماننا هذا وأجد نفسى حقا عاجزا عن تدوينها وتأريخها وإيفاءها حقها .

توفى المرحوم الدكتور مبارك شداد عليه رحمة اللّه فى نوفمبر 1997 بعد عمر مديد حافل بالعطاء والتجرد وله خمس بنات ، فيهن منه من جميل السجايا والصفات ...ومن شابه أباه فما ظلم .

وتبقى لنا نحن طلابه مثل هذه السير البيضاء الخالدة نهجا ومعلما ودروسا للتعلم .

ألا رحم اللّه الدكتور مبارك الفاضل شداد وأدخله فسيح الجنان .